المحاضرة1: المدارس التاريخية الإسلامية(النشأة والتطور)

تقديم:

التاريخ هو علم من العلوم الاجتماعية يعنى بدراسة حركات المجتمعات والجماعات البشرية وتفاعلها مع بعضها البعض ومع البيئة والطبيعة ومظاهر هذا التفاعل؛ وفي الاصطلاح يتباين مفهوم التاريخ بين الشعوب والثقافات وفي الفكر الإسلامي يعني:"**التاريخ الظاهر من الحوادث المختلفة ومدارسة الباطنة من الأسباب التي دفعت لحدوثها، ويذكر ابن خلدون في مقدمته أن التاريخ**"هو خبر عن الاجتماع الإنساني الذي يشكل عمران العالم"، وعرّفه السخاوي في كتابه"**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**" بقوله:" **إنّ التاريخ هو حسن تعريف الرجال الذين صنعوه واتخاذ مسارهم قدوة**"، ومنه فالتاريخ هو دراسة الأخبار الماضية والآثار والتنقيب فيها ومعرفة صحة وقوعها من عدمه وأسباب ذلك.

اهتم العرب وسبقوا غيرهم في العناية بالتاريخ وسموه أحيانا بالأيام لضبط الأحداث واتخاذها كمنطلق لمراحل جديدة كحرب الباسوس–عام الفيل– حرب داحس والغبراء وغيرها من الأيام المعلمية(الاتفاق على زمن وقوعها والأطراف التي صنعتها)، وبعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أرخ المسلمون ببعثته ثم اتخذت سنة الهجرة كبداية للتاريخ الإسلامي.

المدارس التاريخية الإسلامية:

أولا: مدرسة الحجاز التاريخية:

1/ **النشأة والمنهج:** هي أولى المدارس التاريخية الإسلامية وعرفت باسم"**مدرسة المغازي والسير**" لارتباطها في نشأتها وتكوينها بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه وسيرته العطرة، وبرزت مبكرا أواسط القرن الهجري الأول(7م) ومنطلقها التشريع ومغازي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جمعت بين الحديث والتاريخ، إذ شكلت مدرسة المدينة المنورة منطلقا هاما للمعرفة التاريخية وذلك لاعتبارات منها(أنها دار الهجرة؛ منزل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، ومستقر الخلفاء الراشدين).

اعتمدت مدرسة الحجاز منهجا دقيقا وموضوعيا في التعامل مع الحدث التاريخي وتدوينه، والابتعاد عن القصص وكل مافيه شك أو ريبة في الرواية، كما ركزت على السند وتحري الثقة في نقل المعلومة التاريخية، ومنهجها في تدوين التاريخ هو نفس منهج تدوين الحديث النبوي باعتماد طريقة الجرح والتعديل أي التدقيق في الخبر وفي ناقل الخبر، ويرتكز هذا المنهج على ثلاث أسس هي:

–تتبع الإسناد: أي الاعتماد بشكل رئيسي على تحري سلسلة رواة الخبر للتأكد من صدق المعلومة ويتم ذلك بتتبع سلسلة الناقلين حتى يصل إلى أولهم واشترطوا فيه أن يكون من العدول الثقات، وضابط هذا الأمر هو خاصية الجرح والتعديل، وهو أسلوب اكتسبوه من خلال تعاملهم مع علم الحديث وتدوينه، ذلك أن جل من كتب في المغازي والسير هم من المحدثين.

–الصدق في نقل الرواية: بأن يكون الراوي معايشا للواقعة بمعنى مصدر مباشر أو قريب منها، أو مشارك في الحدث التاريخي أو قريبا من مصدره وزمنه؛ وهو منهج تعتمده الدراسات المعاصرة في تدوين التاريخ.

–الموضوعية:ويقصد به اعتماد منهج موضوعي عند الكتابة التاريخية قائم على أسس دقيقة وصادقة في التدوين بعيدا عن أي ميولات أو تحزب فلا يسيرها فكر قبلي أوتعصب لجهة ما، والتزام الحياد في نقل الخبر حتى وإن تعارض الحدث مع التوجهات الشخصية للمؤرخ؛ وبذلك وصلت مدرسة المدينة إلى معرفة تاريخية بلغت درجة عالية من الصدق والدقة، خاصة وأن التدوين التاريخي لمدرسة المدينة قد اختص بكل ما يتعلق بالدين الإسلامي والكتابة في السيرة النبوية والمغازي وفتوح الأمصار.

2/ أبرز أعلام مدرسة الحجاز التاريخية:

-**سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري**: صاحب السبق في التدوين التاريخي بالمدينة المنورة من خلال ما كتبه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء(وتناقل العديد من الإخباريين بعض ما كتبه في مسند ابن حنبل/ تاريخ الملوك للطبري).

-عروة ابن الزبير،ت(94هـ/713م): هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، ترك آثارا في التدوين منذ بداية نزول الوحي/ موقف قريش من الدعوة/ غزوات النبي صلى الله عليه وسلم)+(تدوين مرحلة الخلافة الراشدة: كفتح الشام زمن الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه)ز

-أبو سعيد أبان بن عثمان،ت(105هـ/723م): من أوائل الذين وضعوا قواعد الكتابة في السير والمغازي بالمدينة المنورة، وصف من طرف أهل الجرح والتعديل بأنه:"مدني ثقة وله أحاديث".

ثانيا: مدرسة اليمن التاريخية:

1/ النشأة والمنهج: ارتبط ظهورها بحالة التنافس الذي كان قائما بين القبائل اليمنية والقبائل المضرية الشمالية في العصر الأموي، وهذا ما أحيا العصبية القبلية(التفاخر بالأنساب)، فعرب الجنوب فاخروا بأمجاد الحضارة اليمنية وعرب الشمال فاخروا بالنبوة والإسلام والخلافة؛ وانصب اهتمام مدرسة اليمن بالكتابة عن تاريخ السابقين من اليمن.

من مميزات مدرسة اليمن غلبة المنهج القصصي على الأخبار، مثاله كتاب: عبيد بن شربة الجرهمي،ت(67هـ/686م) في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، فالكتاب وضع على طريقة تروي الأسمار وأيام العرب، فلا يوجد مصدر للروايات ولا سند لها.

كما أنّ الروايات الواردة في الكتاب تحمل قصصا وروايات تضمنت في طياتها ميولات شعبوية وقبلية من خلال تمجيد عرب اليمن، حيث نسب إليهم أمجادا في الثقافة والصنائع مع التدليل على أسبقيتهم لعرب الشمال في أمجادهم، ويظهر في رواياته المبالغة مع عدم الدقة، خاصة وأنها تفتقد للنقد والتمحيص، مع الاكتفاء بالرواية الواحدة لحدث معين، وقد سار مؤرخو المدرسة اليمنية على نفس المنهج والأسلوب وطريقة العرض والتبويب التي كانت سائدة عند المؤرخين المسلمين في ذلك الوقت.

2/ أبرز أعلام مدرسة اليمن التاريخية:

-أبو أسحاق كعب الأحبار الحميري،ت(34هـ/654م):استخدم المنهج القصصي في عرض وتقديم تاريخ اليمن القديم.

-عبيد بن شربة الجرهمي،ت(67هـ/686م):له كتاب"الملوك وأخبار الأولين" الذي عُرف باسم:"أخبار عبيد بن شربة الجرهمي عن بلاد اليمن"، وقد نقل عنه المسعودي في مروج الذهب.

-ابن أبي الدمينة الهمذاني،ت بعد345هـ: هو من أبرز مؤرخي اليمن ولقب"لسان اليمن" له عدد من المصنفات مثل كتاب: المسالك والممالك في عجائب اليمن وجزيرة العرب وأسماء بلادها".

ثالثا: مدرسة بلاد العراق التاريخية:

1/ النشأة والمنهج: ظهرت مدرسة العراق بفكرها ومنهجها في كتابة التاريخ خلال القرن2هـ/8م، وتميزت بتفرع في المضمون حيث شملت تاريخ العرب قبل الإسلام"بلدانهم- أمصارهم-أنسابهم- أحوالهم"، وقد تأثرت بمنهج مدرسة المدينة، حيث اهتموا أيضا بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والفتوحات، وقد تأثر مؤرخوا المدرسة العراقية بالميول والتحزب السياسي والتعصب القبلي وهو ما أنتج تأليف صب في هذا الاتجاه ومتعلق بالفترة الأموية وآل البيت العلوي ومختلف الأحداث التي شهدتها العراق خلال القرن3هـ/9م، كما تجلى عندهم تطور منهجي في الكتابة وتغيّرت من الرواية إلى التصنيف وتوثيق السند، وتميّز منهج الكتابة عند هؤلاء الإخباريين باعتمادهم على روايات تتعلق بحدث أو موضوع ما؛ ثمّ جمع هذه الروايات وفق تسلسل وانصب اهتمامهم على تتبع شؤون الأمة عامة وأخبار العراق خاصة.

2/ أبرز أعلام مدرسة العراق التاريخية:

-أبو المعتمر سليمان بن طرخان التميمي البصري،ت(143هـ/760م)/ أبو عروة معمر بن راشد الأزدي البصري،ت(143هـ/760م)/ أبو الحكم عوانة بن الحكم،ت(158هـ/775م).

رابعا: مدرسة بلاد الشام التاريخية:

-النشأة والمنهج وأبرز الرواد: ارتبط انطلاقها باهتمام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بالثقافة التاريخية من خلال أحد مستشاريه الحكماء وهو"عمرو بن العاص"، حيث سعى إلى جلب المؤرخين منهم:"عبيد بن شربة الجرهمي" الذي ألف له كتاب عبارة عن أسئلة معاوية عن تاريخ القدماء وأحداث التاريخ عند العرب ممن عايشوا فترتي الجاهلية والإسلام، فلهذا ارتبط إسمه كمؤسس لمدرسة الشام التاريخية؛ وارتبط تطور مدرسة الشام التاريخية بعد أحداث الفتوحات الإسلامية إذ مثلت بلاد الشام قاعدة للفتوحات وكان من أهل الشام أعلام برزوا في كتابة"السير والمغازي" من أبرزهم: "الإمام عبد الرحمان بن عمر الأوزاعي الشامي"، ت(157هـ/747م).

شهدت مدرسة الشام التاريخية تطورا أيضا عهد الخليفة"عبد الملك بن مروان" واشتهر في عهده عروة بن الزبير الذي كتب عن مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وفي عهد الخليفة" عمر بن عبد العزيز" ازداد اهتمام أهل الشام بالتاريخ والأخبار وروايات المغازي، ومن أبرز رواد هذه المدرسة: أبو عبد الله مكحول الدمشقي،ت بعد(112هـ/730م) وعاصم بن عمر بن قتادة، ت(120هـ/738م) حيث كان يحدث الناس بمسجد دمشق عن المغازي والسير ومناقب الصحابة.

خامسا: مدرسة مصر التاريخية:

1/ النشأة والمنهج:شكل الفتح الإسلامي لمصر أحد أهم دعائم تبلور وتشكل وتطور المدرسة التاريخية الإسلامية بمصر وبرز عدد من رواة الأخبار خلال تلك المرحلة تمكنوا من تولي الخطط بها، وإن كانوا أيضا قد اهتموا بدراسة تاريخ ماضي الشعوب والقبائل مثلها مثل مدرسة الحجاز واليمن، ومن أوائل رواد هذه المدرسة نجد: "عمرو بن العاص" الذي عُرف باهتمامه بفضائل بلاد مصر وبتاريخ الأقدمين بها، وقد روى عنه الواقدي في فتوح مصر العديد من المرويات(مثل: مروياته عن عمارة الإسكندرية/ وأول من عمرها واتخذ بها مجالس وصنائع...وغيرها)؛ وقد تبلورت ركائز مدرسة مصر التاريخية واستمدت قواعد وأصول الكتابة التاريخية من الأسس التي وضعها علماء الحديث خاصة ما تعلق بالإسناد في الروايات التاريخية؛ وفي القرن4هـ/10م برز منهج جديد لمدرسة مصر التاريخية حيث شهدت تحولا في المنهج من أسلوب القصص والرواية إلى منهج السند والوثيقة حيث شكلت الوثيقة الرسمية جزءا هاما من منهجها، وخلال هذه المرحلة اتجهت الكتابة إلى الصبغة المحلية(فضائل البلد- العناية بالخطط- إبراز تاريخ مصر ومعالمها).

2/ أبرز أعلام مدرسة مصر التاريخية:

-عبد الله بن عمرو بن العاص- أبو رجاء يزيد بن سويد بن أبي حبيب المصري،ت(128هـ/746م).

سادسا: مدرسة بلاد فارس التاريخية:

ركزت المدرسة على الموروث الثقافي الفكري الفارسي القديم كمنطلق للكتابة ولإحياء أمجاد القومية الفارسية مثل مدرسة العراق التاريخية من خلال التفاخر بثقافة الفرس وتراثهم، لهذا اعتمدت المدرسة على ترجمة المصنفات الفارسية إلى العربية وعلى عمليات النسخ وذلك لإبراز القومية الفارسية والتوسع في التراث الفارسي ونشره؛ ومن المؤلفات الفارسية المعربة عن ذلك الكتاب المعنون ب"علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياستهم" والذي يعود تاريخه إلى سنة113هـ/731م على عهد الخليفة"هشام بن عبد الملك بن مروان" وترجم الكتاب من اللغة الفارسية إلى العربية، ومن أوائل من انبرى لهذه المهمة: عبد الله بن المقفع،ت(144هـ/ 762م) وهو الذي ترجم كتاب: كليلة ودمنة للعربية.

ومن أعلام المدرسة الفارسية خلال القرن5هـ/11م نجد: الغنجار محمد بن أحمد البخاري،ت(410هـ/1019م) بكتابه: "بخارى"/ أبو معين ناصر خسرو،ت(481هـ/1089م).

سابعا: المدرسة التاريخية في الغرب الإسلامي:

إنّ هجرة بعض المشارقة إلى بلاد المغرب من المختصين في تاريخ الأيام والأنساب قد أسهم في انتقال هذا المجال إلى بلاد المغرب واستفادة المغاربة من معلوماتهم ومن هؤلاء نذكر: المعمر بن سنان التيمي،ت(177هـ/793م) الذي قدم إلى إفريقية واستوطن القيروان وعنه أخذ أهل إفريقية وغيرها وقائع العرب، ومنهم أيضا: عياض بن عوانة الكلبي،ت(158هـ/ 774م) الذي خرج من الكوفة واستقر بالقيروان وعنه أخذ أهل إفريقية تاريخ العرب في الجاهلية وحفظ أنسابهم.